[الطَّلَاقُ غَيْرُ الْمُبَرَّرِ، وَأَثَرُهُ عَلَى الْأُسَرِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَعَلَ الطَّلَاقَ أَبْغَضَ مَا أَحَلَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَا يَتَسَبَّبُ فِيهِ مِنْ تَفْكِيكِ الْأُسَرِ وَالتَّأْثِيرِ السَّلْبِيِّ عَلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْأَمِينُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنِ اِقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوةُ الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ الْإِسْلَامَ جَعَلَ الْأُسْرَةَ هِيَ نَوَاةَ الْمُجْتَمَعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ... وَجَعَلَ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ أَفْرَادِهَا قَائِمَةً عَلَى الْحُبِّ وَالتَّعَاوُنِ، لِيَنْعَكِسَ ذَلِكَ عَلَى الْوَاقِعِ، إِذِ الْأُسْرَةُ كَالْقَلْبِ، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ، أَمَّا الْيَوْمَ فَنَشْرَعُ بِحَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ الْمَخَاطِرِ الَّتِي تُهَدِّدُ نَجَاحَ الْأُسْرَةِ وَاسْتِمْرَارَهَا، وَسَيَكُونُ عُنْوَانُ خُطْبَتِنَا هُوَ: اَلطَّلَاقُ غَيْرُ الْمُبَرَّرِ، وَأَثَرُهُ عَلَى الْأُسَرِ، وَسَيَنْتَظِمُ كَلَامُنَا حَوْلَ هَذَا الْعُنْوَانِ فِي ثَلَاثَـةِ عَنَاصِرَ:

الْعُنْصُرُ الْأَوَّلُ: مَفْهُومُ الطَّلَاقِ وَحِكْمَتُهُ، فَالطَّلَاقُ لُغَةً هُوَ: الْإِرْسَالُ وَالتَّرْكُ بَعْدَ الْإِمْسَاكِ. وَفِي الِاصْطِلَاحِ الشَّرْعِيِّ هُوَ: حَلُّ مِيثَاقِ الزَّوْجِيَّةِ، يُمَارِسُهُ الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ، كُلٌّ بِحَسَبِ شُرُوطِهِ تَحْتَ مُرَاقَبَةِ الْقَضَاءِ، فَهُوَ رَفْعُ قَيْدِ النِّكَاحِ الْمُنْعَقِدِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ بِأَلْفَاظٍ مَخْصُوصَةٍ. وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّهُ مَشْرُوعٌ وَمُبَاحٌ عِنْدَمَا تَصِلُ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ إِلَى انْسِدَادِ الْأُفُقِ، وَيَتِمُّ اسْتِنْفَادُ جَمِيعِ وَسَائِلِ الْإِصْلَاحِ، مِمَّا يَسْتَحِيلُ مَعَهُ الِاسْتِمْرَارُ فِي هَذِهِ الْعَلَاقَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ الْعِدَّةَ وَاتَّقُواْ اللَّهَ رَبَّكُمْ... وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: اَلطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ. وَمِنْ وُجُوهِ الْحِكْمَةِ فِي الطَّلَاقِ أَنَّ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ قَدْ يَكُونُ عَقِيمًا وَالْآخَرُ يُرِيدُ نَسْلًا، أَوْ يَكُونُ أَحَدُهُمَا مُصَابًا بِمَرَضٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَةِ، أَوْ تَكُونُ الزَّوْجَةُ أَوِ الزَّوْجُ سَيِّئَ الْعِشْرَةِ، أَوْ يَكُونُ هُنَاكَ سَبَبٌ خَارِجِيٌّ أَدَّى إِلَى اسْتِحَالَةِ اسْتِمْرَارِ الزَّوَاجِ.

الْعُنْصُرُ الثَّانِي: الْآثَارُ السَّلْبِيَّةُ لِلطَّلَاقِ، فَقَدْ سَجَّلَتِ الْمَحَاكِمُ فِي عَامِ أَلْفَيْنِ وَخمسٍ وَعِشْرِينَ فَقَطْ: سَبْعٌ وَخَمْسُونَ أَلْفًا وَخَمْسُ مِئَةٍ وَخَمْسٌ وَتِسْعُونَ بِمُعَدَّلِ حَالَةِ طَلَاقٍ كُلَّ تِسْعِ دَقَائِقَ، أَيْ: أَزْيَدُ مِنْ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ حَالَةَ طَلَاقٍ فِي الْيَوْمِ، وَذَلِكَ يَعْنِي: أَنَّ

سَبْعٌ وَخَمْسُونَ الْفًا وَخَمْسُ مِئَةٍ وَخَمْسٌ وَتِسْعُونَ

أُسْرَةً قَدْ تَفَكَّكَتْ، وَلَمْ تَنْجَحْ فِي الِاسْتِمْرَارِ، وَالْوَاقِعُ يُقَرِّرُ أَنَّ لِلطَّلَاقِ آثَارًا سَلْبِيَّةً عَلَى الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ، إِلَى جَانِبِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَنَافِعِ، فَلَهُ أَثَرُهُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُطَلَّقَةِ الَّتِي يُخْشَى عَلَيْهَا مِنَ الِانْحِرَافِ، وَلَهُ أَثَرُهُ عَلَى الرَّجُلِ فِي تَحَمُّلِ تَبِعَاتِهِ الْمَالِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَلَهُ أَثَرُهُ عَلَى الْأَوْلَادِ الَّذِينَ يَفْقِدُونَ الرِّعَايَةَ فِي كَنَفِ الْوَالِدَيْنِ، مِمَّا يُعَرِّضُهُمْ لِمَشَاكِلَ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، لِذَلِكُمْ فَالطَّلَاقُ لِأَتْفِهِ الْأَسْبَابِ لَيْسَ أَمْرًا مَشْرُوعًا كَمَا يَعْتَقِدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ، رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ. وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ: أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ. وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ: مَا أَحَلَّ اللَّهُ شَيْئًا أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّلَاقِ. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: اَلطَّلَاقُ فِي الْأَصْلِ مِمَّا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وَهُوَ أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَبَاحَ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ النَّاسُ، كَمَا تُبَاحُ الْمُحَرَّمَاتُ لِلْحَاجَةِ وَالِاضْطِرَارِ، فَمَنُ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

نَفَعَنِي اللَّـهُ وَإِيَّاكُمْ بِكِتَابِهِ الْـمُبِينِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْمُهِينِ، وَجَعَلَنِـي وَإِيَّاكُمْ مِنَ الذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ آمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْـحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، صَلَّى اللَّـهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُمْ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الْعُنْصُرُ الثَّالِثُ: مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ نَجَاحِ الزَّوَاجِ، فَنَجَاحُ الزَّوَاجِ يَتَطَلَّبُ صَبْرَ كِلَا الزَّوْجَيْنِ عَلَى الْهَفَوَاتِ، وَالتَّسَامُحَ عَلَى الزَّلَّاتِ، وَنَبْذَ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْهَمَزَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا. وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ

أَنْتَ. وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي إِلَى فِرَاشِ أَحَدِكُمْ، بَعْدَ مَا يُفْرِشُهُ أَهْلُهُ وَيُهَيِّئُونَهُ، فَيُلْقِي عَلَيْهِ الْعُودَ وَالْحَجَرَ أَوِ الشَّيْءَ لِيُغْضِبَهُ عَلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ فَلَا يَغْضَبْ عَلَى أَهْلِهِ لِأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. فَاتَّقُواْ اللَّهَ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ -، وَلَا تَتَسَرَّعُواْ بِالطَّلَاقِ دُونَ تَفَكُّرٍ وَلَا حُسْبَانٍ، وَحَافِظُواْ عَلَى تَمَاسُكِ أُسَرِكُمْ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ.

هَذَا؛ وَصَلُّواْ وَسَلِّمُواْ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ وَذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ وَذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؛ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الصَّحْبِ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.وَانْصُرِ اللَّهُمَّ مَنْ وَلَّيْتَهُ أَمْرَ عِبَادِكَ، وَلِيَّ أَمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، نَصْرًا عَزِيزًا تُعِزُّ بِهِ الدِّينَ، وَتَرْفَعُ بِهِ رَايَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، اَللَّهُمَّ اكْلَأْهُ بِعَيْنِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاحْفَظْهُ فِي جَنْبِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَأَقِرَّ عَيْنَهُ بِوَلِيِّ عَهْدِهِ،وَارْحَمِ اللَّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرَ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ.

اَللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بِنَا، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، وَاجْعَلْ ذُرِّيَّتَنَا مِمَّنْ خَافَكَ وَاتَّقَاكَ، وَوَفِّقْهُمْ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ فِي سِرِّهِمْ وَعَلَانِيَتِهِمْ، وَخُذْ بِنَاصِيَتِنَا وَنَاصِيَتِهِمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، آمِينَ، اللَّهُمَّ اهْدِي أَبْنَاءَ وَبَنَاتِ الْحَاضِرِينَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَحَقِّقْ أَهْدَافَهُمْ وَآمَالَهُمْ وَحَفِظْهُمْ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَكَرِهَ إِلَيْهِمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْهُمْ مِنْ الرَّاشِدِينَ.رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.